

أحمد حسن الزيات : منهجه في كتابة تاريخ الأدب العربي

[Ahmad Hasan Al-Zayyat : His Scheme in Writing The History of Arabic Literature]

Dr. Nurul Islam

Vice Principal, Al-Markazul Islami As-Salafi, Nawdapara, Rajshahi, Bangladesh

ARTICLE INFORMATION

The Faculty Journal of Arts
Rajshahi University
Special Volume-7
ISSN: 1813-0402 (Print)

Received : 25 February 2025
Received in revised: 28 April 2025
Accepted: 16 March 2025
Published: 25 October 2025

Keywords:

Al-Zayyat, history, Arabic literature, period, writing methodology.

ABSTRACT

Ahmad Hasan Al-Zayyat (1885–1968) is one of the most pioneering of modern Arabic literature. He made significant contributions to Arabic essays, the history of Arabic literature, journalism, literary review and translation. He was born in 1885 in the village of *Kafr Dumayra* in the *Daqhalia* governorate of Egypt. After completing his primary education in the village, he got admitted at the world-renowned Al-Azhar University at the age of 12. He teaches in various institutions. In 1933, he published the magazine *Al-Risalah*. Which had been regularly published for 21 years. He passed away 12 June, 1968 in Cairo. His contribution to the history of Arabic literature is undeniable. His book *Tarikh al-Adab al-Arabi* (History of Arabic Literature) is highly popular and boundless work in the history of Arabic literature. The book widely has been discussed the history of Arabic literature from the pre-Islamic period to the modern era. In this book, he has divided the history of Arabic literature into five remarkable periods. The life and literary works of total 101 poets and writers have been included in this book. Before discussing each period, he has discussed the political, social and cultural context of that era. Then he has elaborated on the literary trends of the period, the lives of poets and writers, and their literary talents. Following this, he has provided examples of their works. His selection of these examples clearly has been reflected his literary feeling, skill and insight. The conciseness, magical style of language and mastery in word choice have been made this work boundless literature. The main purpose of this article is to be analyzed the method followed by Ahmad Hasan Al-Zayyat in writing the history of Arabic literature.

المقدمة

كان أحمد حسن الزيات عملاقاً من عمالقة الأدب العربي الحديث. وهو أحد بناة صرح الأدب العربي في العصر الحديث. له خدمات متنوعة ومساهمات جليلة في شتى حقول الأدب العربي. ومن أبرزها كتابة تاريخ الأدب العربي. وكتابه "تاريخ الأدب العربي" يؤرخ الأدب العربي من عصر الجاهلية إلى العصر الحديث بأسلوب سهل، واستيعاب موجز، واختيار موفق. وقد بذل الزيات في هذا الكتاب قصارى جهوده في عرض حالة الأدب العربي مع أحوال عصوره الخمسة، والترجمة لأعلامه في الشعر والنثر. واستخرج مميزات كل أديب وشاعر على حدة واعتمد على عنصر الموازنة بين الشعراء مع إيضاح الفروق والخصائص. ترجم الزيات في هذا الكتاب لواحد ومائة (١٠١) شاعر وأديب واختار نماذج من شعرهم ونثرهم. وهذا يدل دلالة واضحة على ذوقه الأدبي السليم ومهارته الفائقة وإطلاعه الواسع على الكتب والمؤلفات القديمة ودواوين الشعراء المختلفة. فالغرض الأصلي لهذه المقالة هو لقاء الضوء على منهج الزيات في كتابة تاريخ الأدب العربي. والله الموفق والمعين.

لمحة سريعة عن الزيات

ولد أحمد حسن الزيات في قرية "كفر دُميرة القديم" في طلخا بمحافظة الدقهلية بمصر سنة ١٨٨٥م، ونشأ في أسرة متدينة متوسطة الحال. كان أبوه فلاحا. التحق بالكتاب في الخامسة من عمره وأتم حفظ القرآن الكريم في الحادية عشرة من عمره، وبعد أن درس التجويد وتعلم بعض القراءات السبع غادر قريته إلى القاهرة ليلتحق بالأزهر. وكانت سنة وقتئذ بين الثانية عشرة والثالثة عشرة. فمكث فيه ١٢ سنة، تلقى خلالها التفسير والحديث والفقه وعلوم العربية والتاريخ وغيرها، وتتملذ في رحاب الأزهر على أيدي الأساتذة الكبار في ذلك العصر، ومن أبرزهم المفتي مُحمَّد عبده ومُحمَّد محمود الشنقيطي والسيد ابن علي المرصفي.

وبعد انفصاله عن الأزهر التحق بالجامعة المصرية (جامعة القاهرة حاليا) سنة ١٩٠٨م. عمل الزيات مدرسا للغة العربية بمدرسة الفرير بالخرنفس نحو سبع سنوات، وفي سنة ١٩١٤م انتقل إلى مدرسة أهلية غير حكومية بالظاهر ومكث فيها إلى عام ١٩٢٢م. وفي نفس السنة عين رئيسا للقسم العربي بالجامعة الأمريكية وحصل على ليسانس الحقوق من جامعة باريس سنة ١٩٢٥م، وفي عام ١٩٢٩م عين أستاذا في مدرسة المعلمين العليا ببغداد ودرس فيها ثلاث سنوات، وبعد عودته من بغداد إلى القاهرة أصدر الزيات مجلة "الرسالة" سنة ١٩٣٣م، واستمرت إلى سنة ١٩٥٣م. وكان عضوا في مجمع اللغة العربية في القاهرة، والمجلس الأعلى للفنون والآداب، والمجمع العلمي العربي في دمشق، والمجمع العراقي في بغداد، كما عمل رئيسا للتحرير لمجلة "الأزهر"، ونال جائزة الدولة التقديرية للآداب سنة ١٩٦٢م. توفي الزيات عام ١٩٦٨م في القاهرة ودفن في مسقط رأسه. له مؤلفات عديدة. أشهرها "تاريخ الأدب العربي".^١

الباعث على تأليف تاريخ الأدب العربي

حمل أحمد حسن الزيات على تأليف تاريخ الأدب العربي أمران وهما :

الأول : اشتغاله بتدريس الأدب العربي في بعض المدارس الأهلية المصرية الذي دعاه وحثه على تأليف كتابه القيم المسمى بـ "تاريخ الأدب العربي" للناشئين والمبتدئين.^٢

الثاني : فائدة تاريخ الأدب وأثره في حياة الأمة. كما يقول الزيات في مقدمة كتابه : "لتاريخ الأدب الأثر البالغ في حياة الأمة. فإن المحافظة على اللغة وما فيها من ثمار العقل والقلب أحد الأساس التي يبني عليها الشعب وحدته ومجده و فخره. فإذا حرمت شعبا آدابه وعلومه الجلييلة الموروثة فقطعت سياق تقاليده الأدبية والقومية حرمة قوام خصائصه ونظام وحدته، وقدرته إلى العبودية العقلية وهي شر من العبودية السياسية، لأن استعباد الجسم مرض يمكن دواؤه، ويرجى شفاؤه، أما استعباد الروح فموت للقومية التي لا يقدر على إحيائها طبيب".^٣

منهج الزيات في كتابة تاريخ الأدب العربي

كتاب "تاريخ الأدب العربي" لأحمد حسن الزيات من أوائل الكتب التي الفت في موضوع هذا الفن الطريف الجديد. ألف الأديب المبدع والمؤرخ الأمين الزيات هذا الكتاب المشهور في ساحة الأدب العربي سنة ١٩١٦م.^٤ إذ لم يكن البحث في تاريخ الأدب العربي قد نضج واتسع، بل لم يكن قد أُلِفَ في هذا الموضوع إلا كتاب "تاريخ آداب اللغة العربية" لحسن توفيق العدل (ت ١٩٠٤م)، وكتاب جرجي زيدان (ت ١٩١٤م) الذي ظهر سنة ١٩١١م، وكتاب "تاريخ آداب العرب" لمصطفى صادق الرافعي.^٥ ثم أضاف إليه الزيات مباحث كثيرة نافعة وأخرجه في صورته الأخيرة سنة ١٩٢٠م، وكانت أوسع من الطبعة الأولى.^٦

لقي تاريخ الزيات رواجاً وانتشاراً في العالم العربي والبلدان الأخرى فلما اتفق لغيره من المطبوعات. فقد طبع الكتاب حتى عام ١٩٦٨م ثمان وعشرين مرة. وهذا رقم نادر كل الندرة لكاتب عربي. وقرر تدريس في أكثر مدارس البلاد العربية لأسلوبه الجذاب ونظراته الواسعة في النقد، ونسج على منواله كثير من المؤلفين بعده، منهم صاحب "الوسيط في تاريخ الأدب العربي" وعلي الجندي صاحب "تاريخ الأدب الجاهلي".^٧

أرخ الزيات في هذا الكتاب للأدب العربي منذ العصر الجاهلي حتى العصر الحديث بأسلوب أنيق وبعبارة بليغة، وبلغ مجموع صفحاته ٤٠٧. وهذه الصفحات كلها درر وغرر. فما هو المنهج الذي اتبعه أحمد حسن الزيات في كتابه المذكور؟ نحاول أن نلقي الضوء على هذا السؤال المهم في النقاط التالية:

١. بدء الكتاب بمقدمة نفيسة

بدأ أحمد حسن الزيات كتابه "تاريخ الأدب العربي" بمقدمة وجيزة ونفيسة للغاية حيث ذكر فيها تعريف أدب اللغة وتاريخ الأدب، وفائدة تاريخ الأدب وتقسيمه، وطبقات العرب، ثم بين أحوال العرب الاجتماعية والسياسية والدينية والعقلية في العصر الجاهلي. وهذه المقدمة في غاية النفاسة مع صغر حجمه وقصر قلبه.

٢. منهجه في تقسيم العصور الأدبي

يرى الزيات أن للتاريخ الأدبي صلة قوية بالتاريخ السياسي والاجتماعي لكل أمة، وكلاهما لازم للأخر مؤثر فيه وممهد له.^٨ فلذلك سلك الزيات مسلك أصحاب التيار التاريخي وتابعهم في تقسيم الأدب إلى عصور فائلا: "آثرا أن نجاري كثرة كتابنا في تقسيم تاريخ ادابنا إلى خمسة أعصر على حسب ما نال الأمم العربية والإسلامية من التقلبات السياسية والاجتماعية".^٩

ثم ذكر بعد ذلك تلك الأعصر الخمسة على الترتيب التالي : ١. العصر الجاهلي ٢. عصر صدر الإسلام والدولة الأموية، ٣. العصر العباسي ، ٤. العصر التركي ٥. العصر الحديث.^{١٠}

تقسيم الكتاب على الأبواب والفصول

قسم الزيات كتابه المذكور على خمسة أبواب وعين لكل عصر من الأعصر الأدبية الخمسة بابا. قال الناقد الدكتور حسين الواد : "ومما تختص به هذه الأبواب الخمسة أنها جاءت على تفاوت في الكم والقيمة قد لا يطابق تفاوت العصور الأدبية التي تتناولها في الطول الزمني أو الأهمية التاريخية".^{١١} وتحت كل باب عدة فصول. مثلا عين الزيات الباب الثالث للعصر العباسي و خصص له سبعة فصول.

تقديم النثر على الشعر في الترتيب

إن المؤرخين للأدب يقدمون عادة الشعر على النثر في ترتيب الأنواع الأدبية داخل العصر الواحد، ولكن الزيات خالف هذه الطريقة السائدة في مجال كتابة تاريخ الأدب العربي وقدم النثر على الشعر. لأن النثر عنده "أسبق أنواع الكلام في الوجود لقرب تناوله، وعدم قيده، وضرورة استعماله".^{١٢} وبناء على هذا بدأ الزيات بالنثر في العصر الجاهلي ثم تناول الشعر وأرخ له، ولكنه خالف منهجه هذا في العصر الأموي والتركي، إذ قدم الشعر على النثر.

منهجه في التعريف بالأدباء والشعراء

اتبع الزيات منهجا واحدا في تقسيم كتابه فهو يؤرخ لكل عصر تاريخيا يقوم على قسمين :

أحدهما يذكر فيه أبرز خصائص وميزات العصر الذي يؤرخ له، والثاني يعرف فيه ببعض أعلامه المشهورين.^{١٣}

وفي التعريف للأدباء والشعراء اتبع الزيات أيضا تخطيطا واحدا أقامه على ثلاثة أشياء:

أولا : ذكر اسمه ونسبه ونشأته وأطوار حياته حتى نتعرف من خلال ذلك السرد المختصر على شخصياتهم. ثانيا : ذكر إنتاجهم الأدبي وأبرز خصائص وأساليب أدبهم مع استخراج مميزات كل شاعر وأديب على حدة.^{١٤}

كما قال الزيات عن ميزة لبيد بن ربيعة : "ولعله أحسن الجاهليين تصرفا في الرثاء وأقدرهم على تصوير عواطف المحزون الصابر بلفظ رائق وأسلوب مؤثر".^{١٥}

وقال عن شعر المتنبي : "وأخص ما يميز المتنبي بروز شخصيته في شعره، وصدق إيمانه برأيه، وقوة اعتداده بنفسه، وصحة تعبيره عن طبائع النفس ومشاعل الناس وأهواء القلوب وحقائق الوجود وأغراض الحياة".^{١٦}

وقال عن الأخطل : "فالأخطل ممتاز بإجادة المدح، ونعت الخمر، وقلة البذاء في الهجاء، وسلامة قصائده الطوال من اللفظ والسقط".^{١٧}

ثالثا: أورد نماذج عالية وغالية من شعرهم ونثرهم مما يدل على طول باعه في ميدان الأدب العربي الفسيح وحسن اختياره وذوقه الأدبي السليم.

الالتجاء الى الإيجاز

الإيجاز من أهم خصائص الزيات في سائر مؤلفاته. ولذلك قال الدكتور محمد رجب البيومي : "وهو يعطيك في سطور ما تأخذه من غيره في صفحات".^{١٨} فالإيجاز عنده "أن يدل اللفظ على المعنى ولا يزيد عليه".^{١٩} وهو "امتلاء في اللفظ وقوة في الحبك، وشدة في التمسك".^{٢٠}

ولذلك لما أراد الزيات أن يكتب تاريخ الأدب العربي التجأ إلى الاختصار والإيجاز في عرض المباحث والموضوعات مراعي طبقة الناشئين والمبتدئين. يقول الزيات في مقدمة كتابه : "ولا نكذب الله فقد كان لمنهاج التعليم في هذا البلد وزهادة الناشئين في الإفاضة، أثر قوي في هذا الإيجاز، فكلمتنا للمتعب، إذ رأى في هذا الموجز إجمالا أو إغفالا ألا ييسط بالنكير لسانه، فإن هذا العلم من العربية وليد. والبحث فيه طريف جديد، ونحن إنما كتبناه لناشئة الأدب لا لفحوله، وألمنا فيه بأصوله لا بفصوله".^{٢١}

منهج الزيات في ميزان النقد

مما لا شك فيه أن أحمد حسن الزيات لعب دورا بارزا في كتابة تاريخ الأدب العربي من خلال كتابه الممتع "تاريخ الأدب العربي" وخطا في كتابه هذا خطوة كبيرة رائدة في تطور الدراسات الأدبية. ويؤخذ عليه مع كونه كتابا مدرسيا بقصور الإيجاز و بعدم التعمق في الفكر، وخاصة ما يتعلق بالناحية الفنية.^{٢٢}

ولكن الدكتور محمد رجب البيومي يقول : "والحق أن قارئ الكتاب لا يكاد يشعر أنه أمام كتاب مدرسي للطلاب! لأن أسلوب الكاتب وطريقته التحليلية الموجزة وتشخيصه المحدد المحصور قد جعله نسيج وحده في اتجاهه".^{٢٣} وقال الدكتور محمد مهدي علام : " وهذا الكتاب يعتبر في القمة من كتب تاريخ الأدب. إذ كان للفقيد فيه فضل السبق في النهج الواضح لدراسة الأدب العربي، وفي حسن اختياره النماذج العالية من هذا الأدب في مختلف عصوره ، وفي تصويره أصحاب تلك النماذج تصويرا حيا فيه جدة وعمق، وكل ذلك بأسلوب متين مشرق وبعبارة بليغة مكينة".^{٢٤} وقال أيضا : "وكانت دراسة الأدب في الوقت الذي عمل فيه مدرسا لا غناء فيها، فكانت لا تزيد قليلا عن عد أسماء الكتاب واختيار نماذج من أدبهم، فكان لأحمد حسن الزيات في ذلك الوقت فضل السبق إلى تأليف كتاب جديد في الأدب العربي، سار فيه على نهج

واضح، تحدث فيه عن كل كاتب وشاعر حديثا صوره تصويرا حيا ، فنقل هذا النوع من التأليف نقلة جديدة." ^{٢٥} قال عبد الله الحقييل : "فمن يلق نظرة على هذا الكتاب يلمح في ثناياه أصالة الأديب وأمانة المؤرخ وإبداع الكاتب وبراعة الأديب ودقة الباحث." ^{٢٦} وقال الأستاذ محمد راشد الندوي : "تاريخ الأدب العربي كتاب مؤجز ومختصر، ولكنه هو عصارة جهود أدبية عميقة، وثمرة دراسات وافية قوية، ومظهر من مظاهر الفن الجميل." ^{٢٧}

الخاتمة

أخيرا نقول، لعب أحمد حسن الزيات دورا رياديا في تأليف تاريخ الأدب العربي ومهد السبيل للباحثين. أقبل القراء على هذا الكتاب اقبالا هائلا منذ تأليفه في سنة ١٩١٦م إلى الآن ونال الزيات شهرة واسعة بهذا الكتاب لمنهجه الفريد وأسلوبه السلس وحسن اختياره النماذج العالية للشعراء والأدباء. وهو مرجع مهم ومصدر قيم لعشاق الأدب العربي. يدرس هذا الكتاب في المدارس والمعاهد العلمية والجامعات المختلفة في البلدان العربية وغير العربية.

مصادر و مأخذ

- ^١ ينظر لمزيد من التفاصيل: د. نعمات أحمد فؤاد، قمم أدبية (القاهرة: دار عالم الكتب، ط ٢، ١٩٨٤م)، ص ١٧٧-٢٠١ ؛ د. نعمة رحيم العزاوي ، أحمد حسن الزيات كاتبنا وناقدا (العراق: وزارة الثقافة والإعلام ، ط ٢، ١٩٨٦م) ، ص ١١-٢٤ ؛ علي عبد المطلب الهوني ، الزيات ناقدا (ليبيا: كلية الآداب والتربية بجامعة سبها ، ط ١ ، ١٩٩٤م) ، ص ١١-١٨ .
- J. Brugman, An Introduction to the History of Modern Arabic Literature in Egypt (Leiden: E. J. Brill, 1984), P. 382-387.
- ^٢ أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، مقدمة الطبعة الأولى ؛ عدنان الخطيب، "فقيد العربية الأستاذ أحمد حسن الزيات"، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مجلد ٤٣، جزء ٣، يوليو ١٩٦٨م ، ص ٦٧٦ .
- ^٣ أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي (بيروت: دار المعرفة، ط ٤ ، ١٩٩٧ م) ، ص ٨ .
- ^٤ قمم أدبية ، ص ٢٢٥ .
- ^٥ أحمد حسن الزيات كاتبنا وناقدا ، ص ٣٥ .
- ^٦ قمم أدبية، ص ٢٢٥ .
- ^٧ الزيات ناقدا ص ١٨ ؛ أحمد حسن الزيات كاتبنا وناقدا، ص ٣٨ ؛ قمم أدبية ، ص ٢١٩ ؛ عفاف عبد المنعم حسين، النقد عند أحمد حسن الزيات، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة النيلين، الخرطوم، السودان، ٢٠٠٣ م، ص ١٣٢-١٣٣ .
- ^٨ تاريخ الأدب العربي للزيات، ص ٨ .
- ^٩ نفس المصدر والصفحة.
- ^{١٠} نفس المصدر والصفحة .
- ^{١١} د. حسين الواد، في تاريخ الأدب مفاهيم ومناهج (تونس : المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ٢ ، ١٩٩٣م)، ص ٤٠ .
- ^{١٢} تاريخ الأدب العربي للزيات، ص ١٨ .
- ^{١٣} النقد عند أحمد حسن الزيات، ص ١٤١ .
- ^{١٤} د. عبد العزيز الدسوقي، تطور النقد العربي الحديث في مصر (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٧م)، ص ٣٩٢ .
- ^{١٥} تاريخ الأدب العربي، ص ٥٤ .
- ^{١٦} نفس المصدر، ص ٢١٩ .
- ^{١٧} نفس المصدر، ص ١١٩ .

- ^{١٨} الدكتور مُجَّد رجب البيومي، "أحمد حسن الزيات بين البلاغة والنقد الأدبي"، مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية، جامعة الإمام مُجَّد بن سعود الإسلامية، الرياض، عدد ٥٥، ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م، ص ٣٠١.
- ^{١٩} أحمد حسن الزيات، دفاع عن البلاغة، تحقيق: د. عبد السلام الراغب (دمشق: دار روائع الكتب، ط ١، ٢٠٢٢ م)، ص ٩٣.
- ^{٢٠} نفس المصدر والصفحة.
- ^{٢١} انظر: مقدمة الطبعة الأولى لتاريخ الأدب العربي للزيات.
- ^{٢٢} تطور النقد العربي الحديث في مصر، ص ٣٩٢.
- ^{٢٣} مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية، العدد الخامس، ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م، ص ٣٠١.
- ^{٢٤} مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، يوليو ١٩٦٨ م، ص ٦٧٦.
- ^{٢٥} د. مُجَّد مهدي علام، مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاما (القاهرة: مجمع اللغة العربية، ١٩٦٦ م)، ج ٢، ص ٣٣.
- ^{٢٦} عبد الله الحقييل، "قراءة في كتاب تاريخ الادب العربي". <https://www.al-jazirah.com/culture/12092005/aoraq25.htm>.
- ^{٢٧} الأستاذ مُجَّد راشد الندوى، "أحمد حسن الزيات: الكاتب الفنان"، مجلة المجمع العلمي الهندي، جامعة عليكرة الإسلامية، الهند، ١٩٩١ م، ص ١٠٣.